298 - أخبرنا أبو سعد الماليني أنا أبو أحمد بن عدي الحافظ قال : سمعت عمر بن محمد الوكيل يقول : حدثني معاذ بن المثنى ثنا سوار بن عبد ا ثنا الأصمعي قال Y جاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو بن أبي العلاء فقال له : .

يا أبا عمرو ! ا يخلف وعده ؟ قال : لن يخلف ا وعده قال عمرو : فقد قال : قال أين ؟ فذكر آية وعيد لم يحفظها عمرو فقال أبو عمرو : من العجمة أتيت و الوعد غير الإيعاد ثم أنشد أبو عمرو : .

(و إني و إن أوعدته أو وعدته سأخلف إيعادي و أنجز موعدي) .

قال البيهقي C فإن قيل : فقد قال ا سبحانه : .

{ و من يعص ا و رسوله و يتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها } .

قيل هكذا نقول الحدود اسم جمع و إنما يصير متعديا لحدود ا تعالى اجمع بترك الإيمان و تارك الإيمان يخلد في النار .

فإن قيل : قد قال : .

{ وإن الفجار لفي جحيم * يصلونها يوم الدين * وما هم عنها بغائبين } .

قيل : و قد قال : .

{ إن الأبرار لفي نعيم } .

و الفاسق المؤمن بر بإيمانه .

فإن قيل ليس برا مطلقا .

فإن قيل : فجوره أحبط إيمانه .

قيل : لي الفصل بين هذا قول و بين من يقول من المرجئة أن إيمانه أحبط فجوره فدل أنه أراد بالفجار الذين قابل بنيهم وبين الأبرار الكفار لأن رأس البر الإيمان و كذلك رأس الفجور الكفر و الذي يدل على صحة ما ذهبنا إلى قوله ا عز و جل : .

{ إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا } .

و قوله : { لا أضيع عمل عامل منكم } .

و قوله : { إن ا لا يظلم مثقال ذرة و إن تك حسنة يضاعفها و يؤت من لدنه أجرا عظيما } .

و قوله : { فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره } .

و قوله : { يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا } .

و قوله : { فالذين آمنوا منكم و أنفقوا لهم أجر كبير } .

و قوله : { وعد ا المؤمنين والمؤمنات جنات } .

و قوله : { هل جزاء الإحسان إلا الإحسان } .

فهذه الآيات و ما ورد منها في معناها كلها تدل على أن ا تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملا و أحسن إلأعمال الإيمان با و برسوله .

و من قال : بتخليد المؤمن في النار كان قد أضاع أجر عمله و لم يجعل له عوضا و لأنا وجدنا ا عز و جل وعد على الطاعات ثوابا و على المعاصي عقابا فليس لأحد أن يقول يرى ما عمل من المعاصي دون ما عمل من الطاعات و قد عملها جميعا إلا و لآخر أن يعكس ذلك فلا يجد القائل بذلك فضلا و أنا قد جمعنا على حصول طاعاته و اختلفنا في زوال حكمها فلا يرفع حكم ما تيقناه من حصول الطاعات بمعصية لا تنفيها و لا تضادها .

و احتجوا في إبطال الشفاعة بقوله عز و جل : .

{ ما للظالمين من حميم و لا شفيع يطاع } .

فالظالمون ها هنا هم الكافرون و يشهد لذلك مفتتح الآية إذا هي في ذكر الكافرين فإن احتجوا بقوله : { و لا يشفعون إلا لمن ارتضى } .

قيل : هذا دليلنا لأن الفاسق مرتضى بإيمانه قال ا عز و جل : .

{ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا } .

واصطفينا و ارتضينا واحد في اللسان ثم قال : { فمنهم ظالم لنفسه } أي من المصطفين ظالم لنفسه و الظلم هو الفسق فأخبر أن فيهم ظالما و قال في قصة يونس { إني كنت من الظالمين } .

و قد روينا من أوجه عن النبي صلى ا عليه و سلم في قوله تعالى : { ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا } قال : كلهم في الجنة و هو في الجزء السابع من كتاب البعث مذكور بشواهده .

و قيل معناه : .

{ إلا من ارتضى } أن يشفعوا له كما قال : { من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه } .

قال الحليمي C : و لا تحتمل الآية غير لأن المرتضين عند ا لا يحتاجون إلى شفاعة ملك و لا نبي فصح أن المعنى ما قلناه و لا يجوز أن يقال إن عز و جل لا يرتضي أن يشفع لصاحب الكبيرة لأن المذنب الذين يحتاج إلى الشفاعة فكلما كان ذنبه أكبر كان إلى الشفاعة أحوج فكيف يجوز أن يكون اشتداد حاجته إلى الشفاعة حائلا بينه و بين الشفاعة ؟ و ليس امتناع الشفاعة للكافرين لأن ذنبه كبير و لكنه بجحده الباري المشفوع إليه أو الرسول الشافع له أو لأن ا تعالى أخبر أنه لا يشفع فيه أحدا و هذه المعاني كلها معدومة في صاحب الكبيرة

من أهل القبلة .

وقوله : { يوم لا تملك نفس لنفس شيئا } لا يدفع الشفاعة لأن المراد بالملك الدفع بالقوة و إنما الشفاعة تذلل من الشافع للمشفوع عنده و إقامة الشفيع بذلك من المشفوع له فلا يوم أليق به و أشبه بأحواله بيوم الدين .

و قد ورد عن سيدنا المصطفي صلى ا عليه و سلم في إثبات الشفاعة و إخراج قوم من أهل التوحيد من النار و إدخالهم في الجنة أخبار صحيحة قد صارت من الاستفاضة و الشهرة بحيث قاربت الأخبار المتواترة و كذلك في مغفرة ا تبارك و تعالى جماعة من أهل الكبائر دون الشرك من غير تعذيب فضلا منه و رحمة و ا واسع كريم .

قال البيهقي C : و قد ذكرنا هذه الأخبار في كتاب البعث و النشور و نحن نشير ها هنا إلى طرف منها قال عز و جل لمحمد صلى ا عليه و سلم : { و من الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا } .

و رويان في الحديث الثابت عن يزيد الفقير عن جابر بن عبد ا ما دل على أن ذلك في الشفاعة و كذلك عن حذيفة بن اليمان و ابن عمر و غيرهم